

﴿ باب العقائد من الأمل إلى الدنية ﴾

تتمة الدرس (٢١) في شبهات على وظائف الرسل وأجوبتها

المسئلة (٧٦) شبهة على الوظيفة الثالثة - يقولون ان الاديان السماوية الثلاثة لم تنفق أيضاً في أمر الآخرة فبعضها يجعلها روحانية محضة وبعضها يجعلها للناس انسانية يتمتع فيها الناس بالذات الروح والجسد جميعاً وبعضها ينكر الزواج فيها ويخالفه الدين الآخر فيقول ان فيها ازواجاً مطهرة عما يههد من النساء في الدنيا وبعضها يقول ان الحساب على الاعمال يكون في الدنيا وبعضها يقول ان ذلك يكون في الآخرة بعد الموت

والجواب عن هذه الشبهة يعلم من تقرير هذه الوظيفة ومن الجواب عن الشبهة الاولى ومن مقدمة الدرس (٣٠) وهو تحكيم القرآن المنقول بالتواتر الصحيح كل كلمة من كلماته وكل حرف من حروفه وجعله هو الاصل وتأويل ما يخالفه اذا أمكن والحكم بعدم صحة روايته اذا لم يمكن . فاذا فرضنا صحة ما نقل عن السيد المسيح عليه السلام من قوله عن أهل الملكوت لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كلائكة الله فالجمال في تأويله واسع من حيث ان كلام المسيح كان أمثالاً وأغازياً وهذه الاناجيل التي تحكي شيئاً من تاريخه وكلامه تدلنا على انه كان يقول القول فلا يفهمه تلامذته فاذا أخذوه على ظاهره يسمعون بمد ما يخالف ذلك الظاهر فيتبين لهم خطأ فهمهم وفي العهد الجديد دلائل كثيرة على ان الدعاة الاول الذين يسمونهم الرسل كانوا يظهرون للضعفاء خلاف ما عليه الامر في نفسه بحسب العلم . ومنه تصريح بولس في (٨ كور) بان العلم يقتضي عدم ضرر اكل ما ذبح للاوثان وان هذا الاكل لا يبعد عن الله وعدمه لا يقرب منه ولكن الاكل يعثر

الضعفاء أي يوقمهم في عبادة الاوثان . وذكر في الباب (٩) الذي بعده انه صار لليهود كيهوديين ليرجح اليهود ويجذبهم الى اعتقاده . فالكتب التي بنيت على هذا الاساس لا يصح ان يؤخذ كل شيء فيها على ظاهره وان فرضنا انه نقل عن اصحابها بنصه على انه لم ينقل الا بالمعنى وبعوض الاناجيل لا تعرف اللغة التي كتبت بها يقيناً . وهل يصعب على اهل هذا الكتاب الذين أولوا قول المسيح انه ينقض الهيكل وبينيه في ثلاثة أيام بانه يموت ويعود بعد ثلاث أن يؤولوا قوله لا يتزوجون ؟

لتأويل هذا النفي وجوه منها تعيين المراد بلفظ الملكوت فقد ورد هذا اللفظ في أمثال كثيرة للسيد المسيح عليه السلام واشهرها عند النصارى يوم مجيئه ومحاسبة الناس (يوم الدينونة) ويقولون انه يكون في الدنيا قبل فناء عالمها كما تقدم في الشبهة . وقد اخذوا هذا من ظواهر الاقوال وان لم تصح كلها فقد روى متى انه قال بعد ما ذكر آيات مجيئه « الحق اقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله » وهو تصريح بأن الملكوت يأتي قبل انقضاء ذلك الجيل ولم يبهيم عليهم الا اليوم والساعة وقال انه لا يعلم بهما أحد الا الله وحده . ثم ضرب لهم مثلاً لذلك أيام نوح والطوفان قال « لانه كما كان الناس في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويتزوجون ويتزوجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان واخذ الجميع كذلك يكون مجيء ابن الانسان » فالظاهر ان المسيح أراد أن يخوف الرجل اليهودي الذي سأله عن المرأة التي تزوجت بأثنين لانيهما تكون في الملكوت ويبين له ان ذلك يوم عظيم ينقطع فيه الزواج وانه يجب الاستعداد له ولم يخبره بما يكون بعده من النعيم

لعلا يتمادي في الغرور . ومن أكبر النعيم ان يكون للانسان زوج يسكن
 اليها وذلك اول من شرب الخمر الذي صرح بأبائه في قوله بعد ان اخذ
 الكأس وشكر واعطاهم وامرهم بالشرب « وأقول لكم اني من الآن
 لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً
 في ملكوت أبي » والحاصل ان للملكوت مبدأ وهو يوم الحساب وهو
 الذي لا أكل فيه ولا شرب ولا زواج وله غاية وهي كما في آخر (٢٥ متى)
 عن المسيح « فيمضي هؤلاء الى عذاب أبدي والابرار الى حياة أبدية »
 وفي ذلك اليوم يشرب الخمر مع تلامذته وكل ما يناسب الخمر من اللذات
 الجسدية فحكمه حكم الخمر . وقد ورد في القرآن العزيز احكام عن ذلك
 اليوم متناقضة في الظاهر متوافقة في الحقيقة لان بعضها محمول على وقت
 الحساب كقوله تعالى « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون »
 وبعضها محمول على وقت آخر كقوله تعالى « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه
 إنسٌ ولا جانٌ » وللجمع بين الآيتين وجه آخر

ومن وجوه تأويل نفي الزواج في الآخرة على تقدير صحة نقله انه
 ليس كما يكون في الدنيا لان الحياة الآخرة طور اعلى من هذه الحياة
 فتشبيها بها في القرآن يشبه ان يكون تمثيلاً وتقريباً لها من بعض العقول
 الضميمة قال تعالى في رزق الجنة « وأنزوا به متشابهاً . ولهم فيها أزواج
 مطهرة » وقال عز وجل « فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين »
 وفي الحديث ان فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر . وقال بعض علمائنا ان كل ما ورد في أسرار الآخرة فهو من التشابهات
 التي لا يعلم تأويلها الا الله تعالى

م (٧٧) شبهة على الوظيفة الرابعة - ويقولون ان وظيفة تهذيب الاخلاق وتزكية النفوس مما يجب ان تنفق فيه الاديان الالهية ولا نرى فيه بين المسيحية والاسلامية الا الخلاف فكل من كتب عن المسيح أثبت انه كان يأمر بترك الدنيا والاعراض عنها بالمرّة مع ان القرآن يعدّ الاستخلاف والسيادة في الأرض أثاراً من آثار الايمان والعمل الصالح. وأثبتوا ايضاً ان المسيح كان يأمر باذلال النفس واهانتها والقرآن يعدّ عزة النفس من صفات المؤمنين او من خصائصهم. وأثبتوا ايضاً ان المسيح كان يقول ان الغني لا يدخل ملكوت السموات والاسلام يفضل الغني الشاكر على الفقير الصابر كما رجحه الامام النووي في شرح صحيح مسلم وغيره - ومثل هذا الخلاف كثير

والجواب عن هذه الشبهة ان نقول ان مجموع تلك النقول الواردة في المعاني التي ذكر فيها الخلاف ثبت في الجملة ان السيد المسيح عليه السلام كان يأمر بالمبالغة في الزهد والتواضع وربما جاء في بعض العبارات المنقولة عنه بالمعنى ما لم يقوله فيخرج بذلك الكلام الى الغلو الذي لا يرضاه. والحكمة في تلك المبالغة ان اليهود الذين بحث فيهم والرومانيين السائدين عليهم كانوا قد غلوا في حب الدنيا والانغماس في شهواتها والتهتك في لذاتها غلوّاً كبيراً وتناهوا في الكبرياء والعنجهية وعتوا عتواً كبيراً. واقاعدة الحكمة ان من يدعو المتغالي في شيء الى الاعتدال فيه يبالغ في ضدّ ذلك الشيء فكان بهذا ممهّداً لدين الاسلام الذي وضع قواعد الاعتدال من أول الأمر لأن العالم الانساني في مجموعه كان قد استعد لذلك في الجملة. ولا شك ان دين الله تعالى